

من وجودنا . وان البنية العلمانية للدولة لا تنفي اطلاقا استلهاام الحياة الروحية لعيش كريم وبناء المدنية الجديدة في هذه الديار . فاذا نحن تنكرنا للسلفية و«الوطن المسيحي» في لبنان فلا نستطيع أن نكافح فكرة الوطن اليهودي في فلسطين اذا نحن قبلنا تنظيمها دينيا ذي قطر . لا يمكن أن تنكر على عدوك سلاحا أنت تستعمله . من هذه الزاوية كانت المسيحية العربية أختا مقلقة ولكن هذا الإقلاق لا بد للعرب جميعا أن يرحبوا به اذا شأوا الخروج من التراكمية المتحجرة البليدة . انها حاملة توثب وطاقنة تطهير اذا استطاعت أن تصبح كثافة نور وقوة تطلعات توتر فينا قوة الخلق المرتقبة للتفجر .

امام هذه الآفاق يتلاشى التساؤل حول شرعية العنف يمارسه القسيسون . فالانسان ، في حركة امتداده وتصادده التآلهي قد يختار اللاعنفة عندما يكون تعبيرا عن لقاؤه بالله أي مسلكا من مسالك القوة . اللاعنفة ، في أعماقه والتزاماته المصلية كبير لانه يقين أولئك الذين يرون أنهم شادون الارض بالسماء وان هذه تنحني رحمة منجية . اللاعنفيون الاكابر قادرون على ترويض الشراسة ، اختيارهم ارتضيه حتى الحب .

كن الشهادة لها وجه آخر ، وجه القدرة تمارسها أصابعك والبدن . قد تختار الجسد سبيلا مؤقتا لتمتع الشر . العنف ليس بمذهب . وان مذهبنا فهو ان فسادنا . أنك أنت تفقدته بالحب . أنت مكره عليه أحيانا بعد تأمل وتمزق . المقاومة مأساة يتحرر من كذب البطولة ، من انتفاخ البطولة . انها أمر لقي عليك . قد تأتي اليه من واقع قداسة ، من موقف الحوار الذي لك مع حر دعاء . وليس لاحد أن يدينك اذا نراعى لك أداة الشهادة تارة صليبا وطورا . ليس لي أن أفلسف موقف كميليو توريس لان تراث كنيسيتي أصلا تراث غير كن لي أن أرى ، على ذلك ، أن الرجل أحس نفسه في طاعة إيمان وشاء « هذه ، أراد أن يمجده الله بها » .

ي لاحظ أن الكنيسة الشرقية نفسها اخترق رجالاتها هذه القاعدة المرة تلو مرة وان قديسيها وثقوا موقف الكبر والعزة القومية ضد التتار والافرنج في روسيا المقدسة وضد الاقتطاع في رومانيا وقاوموا التترك في السلطنة العثمانية والصهيونية في فلسطين . وحدوا أنفسهم مع شعوبهم ولا حرج عندي ان يقتفوا في معسكرين مضادين اذا اقتنعوا بعدالة معسكرهم . والمأساة ليست بأن يقتفوا ، هنا وثمة ، بأن معا ولكن المأساة الا يفهم فريق منهم أن العدالة هناك .

ومما لا شك فيه أن كبار الرهبان الذين ألهموا الثورات — وليس لها اسم آخر بالحقيقة — لم يكونوا منطلقين من عصبية قومية ولكنهم كانوا آتين من الانسان ومن آلامه . وفي بقعة المعمورة التي فيها يعيشون يرى هذا حسا قوميا بما في هذا التعبير من سمو . وهذه الطبيعة من لحم ودم لا يزالان طريقنا الى هذا الانسان الذي من أرضه يرتقي الملوكوت ومن أوجاعه يتمم الفرح . ليس لنا سبيل الى العافية الا اذا ضمنا الجراح ولازمنها بالفهم .

الفهم الاخير يتنزل علينا من مجد الضابط الكل كما يتجلى على القبة البيزنطية . هذا ما تاق اليه السيد ايلاريون كبوجي لما أراد تزيين بيعته المقدسة برسوم جدارية . لقد شاعت الحياة أن يترجم هذا المجد خارج الهيكل ، في تلك المعابد الحية التي هي مشردو